رسالتان لصفي الدين الحلّي

من جملة المخطوطات التي أُهديت في العهد الاخير للمجمع العلمي العربي مجموع فيه عدة رسائل احداها كتاب المثالث والمثاني . والثانية مجموع من الشعر ويليها مجموعة احاديث وعظية ورسالة في الضاد والظاء وخامسة مجموعة احاديث ايضاً . وقد كتب على الرسالة الاولى (كتاب المثالث والمثاني في المعالي والمعاني تأليف شيخ الاسلام ملك العلماء الاعلام صدر الدين الادمي قاضي القضاة بدمشق) وكتب على المجموعة الثانية (مجموع جمعه من نظمه مولانا قاضي القضاة ملاذ العفاة شيخ مشايخ الاسلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صدر الدين الأدمي قاضي القضاة بدمشق المحروسة)

وقد وقع المجموع الاول في ٤٢ صفحة اصغر من حجم الربع والمجموع الثاني في ٤٩ ورقة اقل من حجم الربع ايضاً بخط متشاكل وفي كل صفحة من صفحاتهما ١٥ سطراً وهاتان الرسالتان الاوليان كتبتا على الاغلب في القرن التاسع او العاشر

وقد راجعت جميع المظان التي عندي فلم اعرف ان لصدر الدين الأدمي رسالتين من هذا النوع ثم سألت العلاّمة الاستاذ احمد تيمور باشا في القاهرة فتفضل وبعث لي بترجمة صدر الدين الأدمي من مخطوطين في خزانته العامرة الاولى عن بغية العلماء والرواة في اخبار القضاة للسخاوي اي ذيل كتاب شيخه ابن حجر المسمى برفع الإصر عن قضاة مصر والثانية عن كتاب قضاة مصر لنور الدين علي بن عبدالقادر الطوخي من فضلاء اواخر القرن التاسع او اوائل العاشر . وهاتان الترجمتان لاتختلفان كثيراً عمّا ترجم به صدر الدين الادمي في الضوء اللامع للسخاوي وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي .

ولما نظرت مليّاً في الرسالتين وفي تاريخ ولادة صدر الدين الأدمي وهو ثماني وستون وستمائة وتبين لي ان الرسالة الاولى عملها المؤلف لما اجتمع بحماة « بناصر الدين محمد بن السلطان الملك المؤيد سلالة آل ايوب النجباء » وناصر الدين هو ابن ابي الفداء تولى الملك سنة ٧٣٢ وتخلى عنه سنة ٧٤٢ وانه وردت في الرسالة الثانية ابيات قالها صاحبها بين سنة ٧١٦ و٧١٧ في حلب وماردين لما عرفت هذا زاد الشك في المؤلف فعمدت الى علم الاستاذ تيمور باشا المشار اليه فكشف لي الحقيقة فقال : « ان صح ظني فالكتاب الذي عندكم ليس لصدر الدين الادمي ولا عبرة بما كتب بأوله وبآخره حتى لو كان بخط ناسجه لجواز ان يكون رآه كذلك بخط بعضهم على نسخة الاصل التي نقل عنها فنقله كما وجده ولم يشر الى انه بخط مغاير اما الكتاب نعندي منه نسخة وهو لصفي الدين الحلي انتخبه من ديوانه واعتمد على المعنى الدقيق في اللفظ الرقيق . » ثم اورد منتخبات من نسخته وترتيبه وابوابه دلت كلها ان الكتاب لصفي الدين الحلي . وتبين لنا بعد ذلك ان من وقع الكتاب له اوائل المئة الحادية عشرة وهو (احمد بن يوسف العدوي) سنة ١٠٠٢ الصق ورقة على الورقة الاولى وكتب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيها بخطه طرة الكتاب اي العبارة التي نسب هو او غيره لصدر الدين الأدمي كتاباً هو لصفي الدين الحلي والفرق بين الرجلين في الميلاد نحو مئة سنة وزاد سامحه الله ان وضع ورقة في اول المجموعة الثانية وكانت لنقص على ما يظهر ورقة او ورقات كتب على طرتها عبارته بخطه وهو يخالف كثيراً الخط المكتوبة به الرسالة وكتب في الوجه الآخر مقدمة الكتاب منقولة على ما يظهر من كتاب آخر وقال في آخرها : « قال مؤلفه :) وبدأ الكلام في الصفحة الثانية بهذا البيت :

لمته في الملام لوماً فأبدى خط صدغ نباته كنباتِ

ولا يعقل ان يبدأ صفي الدين اوغيره مجموعته بمثل هذا البيت ووضع احمد بن يوسف العدوي ورقة ثالثة في آخر الرسالة الاولى وقال فيها ان الكتاب تم على يده وهو كاتبه في اوائل شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة اثنتين بعد الالف . واما الاصل فانه قد تم واشتراه من تركة المرحوم القاضي شمس الدين محمد سبط الرحيبي الحنبلي خليفة الحكم العزيز بدمشق . وكُتب بخط الاصل في آخر الرسالة الثانية : (هذا آخر ما وجد بخط علم الدين سليمان كاتب فراسنقر وهو كتبه من لفظ مصنفه وذكر انه قرأه عليه)

وقد كان لاول وهلة وقع عندنا ان الكتاب منتخبات لشعراء مختلفين من عصر جامعه وقبل عصره وان الذي عدا على المؤلف الاصلي موّه فصعب على من لم يمعن النظر تمويهه

ثم عارضنا بعض ابيات الرسالتين على ديوان صفي الدين المطبوع فاذا هو شعره بعينه ومنه ما هو في ديوانه . ولو ذكرنا بادىء الرأي شعر الحلي وعهدنا به طويل منذ الصبا وبعض قصائده المشهورة لا تزال على خاطرنا نحفظ ابياتاً كثيرة منها لما ارتبكنا زمناً في رد المؤلف الى صاحبه الحقيقي . وكان ذلك جرأة من رجل اراد ان يدعي ما ليس له فارتكب خطأً فاحشاً في نسبة كتابة الكتاب اليه وخطأً افحش في عزو الكتاب لصدر الدين الادمي وهو لصفي الدين الحلي فظهر تحريفه من متن الرسالتين للمتأمل البصير .

***

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعلوم ان صفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا بن علي بن ابي القاسم الطائي السنبسي الحلي العراقي ولد سنة ٦٧٧ هـ . وتوفي سنة ٧٥٠ وكان شاعر الدولة الارتقية وتنقل في البلاد وشعره مشهور متداول وقد طبع من دواوينه ورسائله ديوانه المشهور في دمشق و بيروت وقصيدة في مدح الصالح الارتقي طبعت في ليبسيك وله في خزانة الاسكوريال باسبانيا معجم الاغلاط اللغوية وغيره ومنها ما افرد بالطبع ومنها ما هو من جملة ديوانه مثل البديعية ووصف الصيد بالبندق الخ . ويقول الصلاح الكتبي في فوات الوفيات : ان ديوانه وقع في ثلاثة مجلدات جمعه بنفسه

قال في مقدمة مجموعه الاول وهو المثالث والمثاني الذي نتكلم عليه : «الحمد لله الذي جعل الفصاحة اكبر معجزات القرآن ، وصلى الله على سيدنا محمد الشاهد بفضله سحر البيان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بالاحسان ، وبعد فاني لما وردت حمى حماه ، وحللت بربع المَلِك المنيع حماه . الطاهر المناسب ، الظاهر المناقب ، الكريم الضريبة . الميمون النقيبة ، سلطان الانام ، عضد الاسلام ، مقيم أود الايام ، رب الحسب الاكمل ، والنسب الاطول ، ناصر الدين محمد ، ابن السلطان الملك المؤيد ، سلالة آل ايوب النجباء عند الضرب والطعن ، الجُنَآء (١) عن الثلب والطعن ، لا زال مبيّض الآثار ، مسود المثار ، مخضرّ الديار ، مُحمَرّ الشفار ، سمعت منه الفاظاً افعلَ من السحر الحلال ، واعذبَ من الماء الزلال ، واحلى من الهدى بعد الضلال ، ولما وفق الله تعالى بلّ الغليل بحضرته ، وإبلال العليل بمحاضرته ، استنشدني شيئاً من جدّ اشعاري وهزلها ، ورقيق الفاظي وجزلها ، فوقف منها على فرائد استجلاها ، وفوائد استحلاها ، ورسم ان اختصر منها ما يكون خضرة لمجالسه ، ومحاضرة لمحالسه ، فأجبت اجابة معترف بفضائله ، مغترف من بحر فواضله ، واقتصرت منها على القصير دون الطويل ، واختصرت من الكثير القليل ، واعتمدت على المعنى الدقيق ، في اللفظ الرقيق ، ولم أعدُ فيه البيتين او الثلثة ، العارية من الركاكة والغثاثة ، وسميتها المثالث والمثاني في المعالي والمعاني ، ليكون الاسم مطابقاً لمسماه ، واللفظ قائماً بمعناه ، وبوبت

---

(١) لعله الجبناء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتاب عشرين باباً ، تحويه طرفاً وآداباً وهذا فهرست الابواب ، والله الموفق للصواب .

الباب الاول في الادبيات ، والفوائد الحكميات . الباب الثاني في الحماسة ، والفخر بالرياسة . الباب الثالث في الصفات ، ومحاسن التشبيهات الباب الرابع في الخمريات ، ونعت مجالس اللذات . الباب الخامس في الغزل والنسيب ، ومطلق التشبيب . الباب السادس في التشبيب بغلمان مخصوصة الاسماء والسمات والفنون والصفات . الباب السابع في المدح والثناء والشكر والهناء . الباب الثامن في الاخوانيات وصدور المراسلات . الباب التاسع في شكوى قرب الديار وبعد المزار . الباب العاشر في استنجاز الجواب عن مكاتبات الاصحاب . الباب الحادي عشر في الاستزارة وشكر الزيارة . الباب الثاني عشر في الهدايا والاستهداء لمؤانسة الاوداء . الباب الثالث عشر في استنجاز الوعود وطلب الموعود . الباب الرابع عشر في العتاب عن عدة اسباب . الباب الخامس عشر في الاعتذار والاستعطاف والاستغفار . الباب السادس عشر في الالغاز بطريق الايجاز الباب السابع عشر في التقييد بعلوم تفيد الباب الثامن عشر في الاهاجي بلطيف التناجي . الباب التاسع عشر في الهزل والاحماض لعدة اغراض . الباب العشرون في الزهد والعفة والتجرد . وهاك نموذجات ابيات الكتاب قال رحمه الله في ادب زيارة الملوك .

اذا زرت الملوك فكن رئيساً ... بصيراً بالامور رحيب صدر
وقابل منهم بجزيل شكر ... لديك ومنعهم بجميل عذر
فان اقصوك قل هذا مقامي ... وان ادنوك قلْ ذا فوق قدري

وقال في ادب الاخوان :

صاحب اذا ما صحبت ذا ادب ... مهذب زان خلقه الخُلقُ
ولا تصاحب من في طبائعه ... شرٌّ فان الطباع تسترق

وقال في مثله :

اخفض جناحاً لمن تعاشره ... ولِنْ اذا ما قسَتْ خلائقه
فانه ان اسأت صحبته ... اعدى اعاديك اذ تفارقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال وفيه من صنائع البديع استخدامان في بيت واحد :

ما كل من حسنت في الناس سمعته ... او حاز قلباً ذكياً ادركَ الاملا
ما السمع والقلب مدنٍ منك منقصة ... ان لم يكن مثل ذا بأساً وذاك عُلا

وقال :

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن ... عجلاً بنطقك قبل ما تتفهم
لم تعط مع اذنيك نطقاً واحداً ... الاّ لتسمع ضعف ما تتكلم

وقال : واذا فاتك الغنى فكص اله ... زم وكلّ اللسان عند الكلام
ما لسان الفقير الاّ قصير ... عجباً إن اطاق رد السلام

وقال في مثله :

عين النضار كناظر العين الذي ... نتأمل القاصي به والداني
ولرب انسان بلا عين غدا ... وكأنه عين بلا انسان

وقال : قد نظر الناس بلا اعين ... من ناظر الناس بلا عين
لا تحقرن المال فالعين للـ ... ـانسان كالانسان للعين

وقال : انقلّ نفعك في ارض حللت بها ... سافر لتدرك قصداً او ترى املا
فالبيض لو لازمت اغمادها كلفت ... والشمس لو لم تسر ما حلت الحملا

وقال : تأمل اذا ما قرأت الكتا ... ب سطورَك من بعد إحكامها
وهذّب عبارة طرز الكلا ... م واستوفِ سائر اقسامها

وقال في الشيب :

لو تيقنت ان شين البياض الشـ ... ـيب يبقى لما كرهت البياضا
غير اني علمت من ذلك الزا ... ئر ما يقتضي وما ينقاضى

وقال يفتخر وفيها من التشبيه ثمانية بثمانية :

سوابقنا والنقع والسمر والظُبى ... واحسابنا والحلم واليأس والبرُ
هبوب الصبا والليل والبرق والقضا ... وشمس الضحى والضوء والنار والبحرُ

وقال : يلذ لنفسي بذل ما قد ملكته ... وبسط يدي في ما تجمع في قبضي
ولم ابقِ بعض المال الا لانني ... اسر بما فيه الوفاية من عرضي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال في صفة فرس له ادهم محجل

ولقد اروح الى القنيص واغتدي من فوق ادهم كالظلام محجل
رام الصباح من الدجى استنقاذه حسداً فلم يظفر بغير الارجل
فكأنه صبغ الشبيبة هابه وخط المشيب فجاءه من اسفل

وقال في وصف رياض الميطور بدمشق :

ان جزت بالميطور مبتهجاً به ونظرت ناضر دوحه الممطور
واراك بالآصال خفق هوائه — الممدود تحريك الهوى المقصور
سل بانه المنصوب اين حديثه المر فوع عن ذيل الصبا المجرور

وقال في صفة جرغتوه وهو طاس به ميزاب وكتبها عليه :

هذا اناء حوى ما كان مجتمعاً (١) في غيره فله الماعون اعوان
كاس وقمع وابريق ومغرفة وصحفة وشرابي وفزغان

وقال يصف مدينة القاهرة :

لله قاهرة المعزّ فانها بلد تفرّد بالمسرة والهنا
او ما ترى في كل قطر منيةً من جانبيها فهي مجتمع المنى

وقال وفيها توجيه باسماء ضياع وقلاع بطريق اياس من بلاد الشمال :

رأيت طريق الياس منكم بعيدة ولا سيما ان خاض سالكها البحرا
ولما سلكنا «عمق» «حارم» وصلكم رأينا الطريق الصعب والمسلك الوعرا
ولي منكم شغلان بالصدّ والنوى وارتاح للذكرى وقلبي بكم «يُغرا»

وقال في السلطان الملك الناصر رحمه الله :

ايهذا العزيز قد صح رقي لك من موقع اسمي المرموز
انا من يوم مولدي لك عبدٌ ولهذا دعيتُ عبد العزيز

---

(١) في ديوانه المطبوع ما كان مفترقاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال فيه وقد لعب بالكرة في ميدان مصر :

ملك بروض فوق طرف ضارباً كرة بجوكان (١) حناه ضرابا
فكأن بدراً في سماء راكباً برقاً يزحزح بالهلال شهابا

وقال في السلطان الملك المنصور نجم الدين صاحب ماردين اطاب الله مثواه وقد ركب السفينة ببحيرة نصيبين :

ان البحيرة زان بهجتها ملك بها افديه من ملك
ركب السفين بها فلاح لنا نجمان في فلك وفي فلك

وقال يعتذر عن تقسيم جائزة اجازه بها الملك المنصور فقسمها ببابه :

فوالله ما قسمت ما جدت لي به على الصحب عن تيه عراني ولا كبر
ولكنني لما علمت بانني اقصر عن اداء حقك بالشكر
شركت جميع الصحب فيها لعلها تساعد في شكر يقوم به عذري

قال ما قيد به ما يحمل منها (الاطيار) بالاجنحة وهي ثمانية :

ثمانية من واجب الطير حملها باجنحة اذ ما لارجلها حكم
عُقاب اوز لغلغ ثم حُبرج وكي ونسر والانيسة والتم

وقال وقد سئل هجاء طبيب :

مباضع امحاق الطبيب كأنها لها بفناء العالمين كفيل
معوّدة ألاّ تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قتيل

وقال وقد سئل هجاء زنديق تخرص :

وقالوا عند عبدالله ضعف فقلت نعم ولكن في اليقين
فقالوا ما يعيش فقلت عدل كذا هو في الحياة بغير شين

هذه نموذجات من المثالث والمثاني اما المجموعة الثانية فقد قدمها مقدمة مختصرة وقال انه مجموع جمعه للمنتهي تذكرة وللمبتدي تبصرة وخدم به المنوه بذكره في صدر كتابه أي الملك الناصر محمد ومعظم شعر هذا الجزء في الغزل والتشبيب ومن شعره :

بعيشك خلّ عاذلتي تلمني ومنها في ملامتها ومني

(١) العصا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فان نجحت فلا نجحت طريقي وادركت المنية لا التمني
وان خانت فلا خابت امان لعبدك في القضا امد التجني
ألا يا ثالث القمرين فرداً وان كان الهوى ثانيه عني
ويا غصن النقا ويجلُّ قدرا فوامك ان اشبهه بغصن
لحاظك بالمها فتكت عناداً ولا تسأل عن الظبي الأغنّ
وعطفك قد كسى الاغصان وجدا فمالت بالهوى لا بالتثني
ورقّت ورقها فبكت عليها وفي الأفنان ابدت كل فن
وقد طارحتها شجناً فلما بكيت صبابة اخذت تغني

وقال: عجبت من قلب مُعنّاهم على جفاهم كيف يهواهم
راآهم للحب اهلاً فما اعجبه في الكون الاّ هم
ولي ببانات الحمى جيرة ارعاهم والله يرعاهم
قد مت من وجدي باهل الحمى حياهم الله واحياهم

وقال: عشق الحمام كما عشقت فناحا لكن كتمت كما علمت فباحا
وبكى فأبكى قلب مفرى مغرم بالطلح قد ترك المطي طلاحا
قد كاد يخفى الوجد لكن ترجمت عجم يزيد ضميره إفصاحا
اعلى الحمام اليمة ان لا يرى الاّ لارباب الهوى فضاحا
يأوي الى بان البطاح وكم فتىً دمه على تلك الاباطح طاحا
حبس المطي عن المسير برامة وغدا بنار في الضلوع وراحا
قالوا الحمام معدد فأجبتهم هذا غناء لا يعدّ نواحا
او ما تراه ان كسرت جناحه لزم السكوت وفي السلامة صاحا

وانشده بهاء الدين موقّع حلب بين يدي مخدومه بديهاً فيه في سنة ٧١١

سألت شجيرات النقا وهي ما ذوت واوراقها نضر واعواده ما خضر
فقال لمسني ابن الوكيل بكفه ومن ذا الذي يذوي وقد مسه البحر

فاجابه الشيخ عن ذلك بديهاً في المجلس:

نظمت بهاء الدين درّاً منضدا وسميتني بحراً وانت هو البحر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما البحر من يهدى له الدر انما من البحر بالاجماع يستخرج الدر

وفي هذا الديوان بضعة موشحات جميلة استغرقت اوراقاً كثيرة هاك نموذجاً منها في وصف مدينة دمشق

جلق ثالث الامان لن يرى مثلها بشر
يا عروساً مدى الزمان تكتسي الحسن والخفر
نهر ثورا لها سوار ديجته (١) يد المطر
وعليه من البهار والحيا التبر والدرر
ثم قد زاده نضار ورق نشر الشجر
زمكته يد الغبار بالتجاعيد في النهر
ليس للدر والجمان منظر الطل والزهر
ما الذي صاغه البنان كالذي صاغه القدر
ولقد صاغت البروق فوقها التاج من ذهب
والوشاح الذي يروق حين يندار في اللهب
وثريا لها شروق من وميض اذا انشعب
وحمتها من الطروق بسلاح لها عجب
فلكم ابرزت سنان بغرارين من شرر
وحسام له صوان من سحاب اذا زأر
كم بلغنا بها منى دونه يدرك المنون
بلد طيب الجنا وجفاه من الجنون
كم حوى ذلك الفنا في الاماني من الفنون
ثم يزداد في السنا كلما زادت السنون
كل وقت بها مكان فيه يستره النظر
وله وقته اوان يفرح القلب والبصر

(١) في الاصل كوبخته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولكم قد حوى قمر لعقول الورى قمر
رقّ من لطفه الحجر اذ على الحسن قد حجر
كلما ماس او خطر فالبرايا على خطر
كم سبى حسنُه نفر فاضح الظبي اذ نفر
ان رأى وجهه جنان من على بابه عبر
ليس يبقى له جنان ان هذا هو العبر
ما لنفسي وعذلها ولاذ لي وسمعها
حرتُ في وصف فضلها تهت في حسن وضعها
خلّ مصراً لاجلها والبرايا بجمعها
ما يرى مثل اهلها لا ولا مثل ربعها
ليس ذا القول كالعيان خبرها صدق الخبر
فهي انموذج الجنان نخذ القول مختصر

وهاتان الرسالتان من هذا المجموع جديرتان بالطبع اذا عورضتا على نسخة الاستاذ تيمور باشا او غيره وان كان فيهما من الاحماض والغزل ما لا يجوزه مصطلح اهل العصر الحاضر وكان اهل الادب في سالف الحقب لا ينكرون شيئاً من ذلك في اسفار المحاضرة ودواوين الشعر والفكاهة

محمد كرد علي